

إبراهيم التّيبلي

أحمد الحمروني

(تونس)

1- حياته وثقافته :

هو العالم والشاعر الإسباني التونسي - وبالأحرى الموريسكي - خوان بيريث (Juan Perez) باسمه المسيحي وصيغته الإسبانية، كغيره من الأسماء الأعجمية التي فرضتها دواوين محاكم التفتيش على آخر مسلمي الأندلس في إطار حملة الاضطهاد المتصاعدة إثر سقوط غرناطة سنة 1492/ 897. واسمه العربي الإسلامي إبراهيم التّيبلي، تسمّى به بعد هجرته إلى تونس وإشهاره إسلامه كسائر الموريسكيين المهاجرين سنة 1609م. وبه انتسب إلى سيدنا إبراهيم وإلى تيبلة، قرية آبائه التي كانت قرب مرسية (Murcia) بشرق الأندلس. وقد اندثرت مخلفة اسمها على أحد روافد نهر شقورة (Segura). واسم هذه القرية من الأسماء المتكررة التي أطلقها يمانية الأندلس على بعض مواطن استقرارهم مضافة إلى أسماء القبائل والجماعات، مثل تيبيل بني أوس بمعنى إقليم الأوس وتيبيل بني هود أي إقليمهم الذي بالثغر الأعلى.

ولد إبراهيم التّيبلي في طليطلة سنة 1580/ 988. وفي أوائل ق 17/ 11 هاجر كهلاً مع أبناء ملته إلى بلادنا فوجد في قرية تستور الراحة والسكينة الملائمتين للتفكير والتأليف والقراءة إلى ما بعد سنة 1628م ما دام تاريخ وفاته مجهولاً. كان يعرف اللاتينية ويحذق الإسبانية ويفهم العربية. وكان مولعاً بفلاسفة الإغريق كسقراط وزينون (335 - 264 ق.م) وبشعراء اللاتين كهوراس (65 - 8 ق.م)، كما كان شغوفاً بشعراء زمانه وقصاصيه أمثال لوبي دي بيقا (Lope de Vega) مؤلف مسرحيات شعرية

هزلية نعرف منها (La pascua grande musulmana) و (La rueda de la fortuna) و (La servana de la Vera).

لقد مكنته معرفته باللغات من اكتساب ثقافة واسعة فلسفية وأدبية ودينية، الأمر الذي مكّنه بدوره من التأليف شعراً ونثراً، ومن الترجمة ونسخ الكتب. ففي بلادنا حيث تعلّم اللغة العربية وعمّق ثقافته الإسلامية سخر قلمه لتعليم إخوانه الموريسكيين مبادئ دينهم بما ألف لهم وبما ترجم لهم من كتب الفقه، باختصار وتصرف، من العربية إلى الإسبانية، قبل أن يتعلّموا لغة القرآن. وفي تستور كانت القشتالية - إحدى اللهجات الإسبانية - مستعملة إلى حدود سنة 1148 / 1735 حسب شهادة القس الإسباني فرانسيسكو خيميناث (Fray Francisco Ximenez) الذي تنقل بين القرى الموريسكية التونسية رفقة جون أندريه بيسونال (Jean André Peyssonnel).

2- التيلي مؤلف «الأنشودة» :

في ذلك الجوّ الملائم للتفكير والتأليف بتستور نظم إبراهيم التيلي أطول قصيدة في الأدب العالمي - على ما نعلم - إذ بلغت 4608 بيتاً. ألفها بالإسبانية وعلّق عليها - هو أو قارئ للمخطوط - ببعض الملاحظات في الهامش بالعربية، وربما بالأخمية أو الأعجمية، أي الإسبانية المكتوبة بحروف عربية (Aljamiado). والمهم أنّ موضوعها هو الجدل الإسلامي المسيحي، موضوع الساعة آنذاك. وإذا أصبح صاحبنا مناصراً ذائداً عن الإسلام، دين التوحيد، فقد شنّ حملة فكرية انتقد بها بقوة تناقضات المسيحية في مسائل التثليث والتبشير بمحمد أو أحمد (ص) ولكن دون تعصب، رغم أنّه كان أحد ضحايا التعصب الديني الذي مارسه الكنيسة الإسبانية مدعومة بابوية الفاتيكان وبسياسة ملوك إسبانيا، وخاصة فيليب الثالث صاحب قرار الطرد النهائي تطهيراً لإسبانيا عرقياً وعقدياً.

ومع ذلك بقي التيلي يحنّ إلى وطنه الأوّل، هاهو يستهلّ أنشودته أو قصيدته بقوله المعبر عن حبه لذلك الوطن المسلوب مع الحرية التي وجدها في وطنه الثاني:

«يا قلمي تشجع

ودون أن تخشى لومة لائم

اكتب بلا موارد،

فأصلك من طليطلة الشهيرة،

أجمل مدن إسبانيا

التي يروى «التاج» الصافي باديتها».

والإشارة إلى نهر التاج المعروف. قال هذا سنة 1628 / 1038 وحرّره في تستور، التي لم تقطعه إقامته بها عن زيارة تونس العاصمة، للتواصل مع أصحابه من المثقفين ولاقتناء الكتب ولمارب أخرى.

أشار الباحثون الإسبان أمثال خيمي أوليبر آسين (Jaime Oliver Asin) إلى وجود تلك «الأنشودة» مخطوطة في مكتبة كازاناتنس (Casanatense) بروما، سنة 1948. وحقّقها ونشرها لوي فرناندو برنابي بونس (Luis Fernando Bernabé Pons) في سرقسطة (Zaragoza) سنة 1988 بعنوان «الأنشودة الإسلامية» (El Cantico Islamico) مع مقدّمة مطوّلة للمستعرب الإسباني المغفور له ميكال دي إيلثا (Mikel Epalza de) (1938 - 2008م). وقد عرّبنا قسماً منها ونشرناه في مجلة «دراسات أندلسية» وفي كتابنا عن «الهجرات الأندلسية» (انظر المراجع).

3- التيلي مؤلف «رسالة الطريقين» :

نشرت لوثي لوبات بارلت (Luce Lopez - Baralt) الأستاذة بجامعة بورتوريكو كتاباً بعنوان مقتبس من الثقافة الهندية «كمه سوتره الإسباني» (Kama Sutra Espanõl) أي علم النكاح (نشر سيرويله، مدريد 1992 في 511 صفحة). وعن الإسبانية عرب جمال عبد الرحمان من جامعة الأزهر مختصراً له بعنوان «نصّ حول الجنس لموريسكي من تونس» (Ars Amandi d'un morisque de Tunis) أو فنون الغرام. ونشره الأستاذ الدكتور عبد الجليل التيمي ضمن منشورات مؤسسته (متبعم، زغوان 1995 في 111

صفحة عربية و16 صفحة إسبانية). وهو قسم من المخطوط المجهول س2 (S2) من مجموعة بسكوال قيانقوس (Pascual Gayangos) بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد. وقد اختلف الباحثون، الإسبان وغيرهم، في نسبته، غير أننا - بعد استعراض آرائهم وجمع القرائن - رجّحنا نسبته إلى التيلي في كتابنا «الموريسكيون الأندلسيون في تونس / دراسة وببليوغرافيا. - ميدياكوم، تونس 1998، ص 114، التعليق رقم 3) وذلك قبل صدور الكتاب محققاً كاملاً بعنوان «رسالة الطريقين» (Tratado de los dos caminos) بعناية صديقنا من جامعة أوبيدو (Oviedo) خوان كارلوس بيلابيريدي أميفا (Juan Carlos Villaverde Amieva) في مدريد سنة 2005 بمشاركة لوثي لوبات بارلت - نفسها - واعتماداً على عمل سابق للفقيه أبارو قالماس دي فوينتاس (Alvaro Galmés de Fuentes). وأعدنا نفس الترجيح بمناسبة عرضنا لتلك الرسالة في مجلة «دراسات أندلسية» (ع 37، جانفي / جوان 2007، ص 111 - 114) وفي كتابنا «الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية» (ميدياكوم، تونس 2009، ص 131 - 133).

وهذا الكتاب كاملاً أو مختصراً من جملة المصنّفات التي ألفها التيلي أو شارك في تأليفها أو ترجمتها من العربية إلى الإسبانية ولو بتصرّف نقلاً عن الرسائل الفقهية وكتب العقيدة الإسلامية من القرآن والحديث إلى الإمام الغزالي إلى الفقيه ابن رشد إلى الشيخ النزاري إلى أحمد الوغليسي إلى أحمد زروق الذي يستشهد به كثيراً في سعيه إلى تعميم الثقافة الدينية لدى عامة الموريسكيين وتثبيتهم في دينهم، أو عليه، إذ كانوا في أول أمرهم إبان وصولهم إلينا يجهلون لغة القرآن وتعاليم الإسلام إلاّ قلة منهم عصمت لغتها ودينها في كنف التقية بثقافة مزدوجة إحداها إسبانية مسيحية مكشوفة والأخرى عربية إسلامية مستورة خشية الوشاية واتقاء للأذى من جهة زبانية الكنيسة من دعاة التطهير الديني والعرق المتعصبين، كما أسلفنا.

فالطريقان - كما جاء في العنوان - هما طريق الجنة وطريق النار، أي طريق الحلال وطريق الحرام. والهدف من الرسالة - كما هو واضح - اتباع الأولى واجتناب

الثانية. وبين صراط الذين أنعم الله عليهم وبين صراط المغضوب عليهم يمكن للمسلم - وهنا الموريسكي - بل يحق له أن يستمتع بحياة سعيدة ويؤمل آخرة هنية في إطار علاقة زوجية طبيعية مختلفة تماما عن رهبانية المسيحية التي ينجر عنها تأثيم الجنس. نتأكد من هذه الرؤية المُطْمَئِنِّة والمُطْمَئِنِّة بمجرد تصفّح ذلك النص حول الجنس، المقتطع من تلك الرسالة. فمن عناوينه الفرعية :

- من هو الرجل الذي يجب أن يتزوَّج ؟
 - الشروط الواجب توافرها في الزَّوجة.
 - العرس.
 - في معاملة الزوجة.
 - قصّة الأرملة الشريفة التي زوّجت بناتها.
 - ماذا يفعل المسلم إذا تزوّج بأكثر من امرأة ؟
 - قصّة المرأة التي تزوّجت من تقي لا يلتفت إليها.
 - قصّة المرأة التي تزوّجت من رجل ذكره كبير الحجم.
 - عن الغيرة وعن لوبي دي بيقا.
 - عن طاعة الزَّوجة لزوجها.
 - جزاء المتزوّجين في الجنّة.
 - فوائد الزواج أو كيف يقربنا الجماع من الله ؟
 - المداعبة التي تسبق الجماع.
 - الجماع : استمتاع الزوجة أو كيف تتمّ المضاجعة أثناء الدعاء ؟
 - الاغتسال.
 - الحلال والحرام في الحبّ.
 - قصّة الرجل الذي فضّل الموت على الزَّنا.
- ومن شواهد ذلك النص أو تلك الرسالة مقاطع شعرية للوبي دي بيقا كقوله

عن المرأة :

«إنّها ملاك، وأحيانا قبيحة خبيثة.

ينبع منها الحنان، ولا تلبث أن تسيء العشرة.

تلك هي المرأة، كالدم،

أحيانا تمنحنا الصحة، وتقتلنا أحيانا أخرى» (ص 105).

هكذا ختم صاحبنا الموريسكي درسه عن الحب والزواج، قبل أن ينتقل إلى

واجبات دينية أخرى للمسلم كالوضوء والطهارة، طهارة البدن وطهارة النفس.

4- التيلي المشارك في التأليف والترجمة :

شارك التيلي الفقيه أحمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف القرشي الحنفي في

تأليف المخطوط (...Unicum) رقم 14009 بالفاتيكان. ويهدف إلى تنبيه الموريسكيين

إلى العقائد المسيحية المخالفة للإسلام حتى يجتنبوها.

وكان الاشتراك في التأليف والترجمة طريقة عمل وعادة محمودة لدى المثقفين

الموريسكيين أمثال أحمد بن قاسم الحجري بخارانو (ت بعد 1640م) وإبراهيم أحمد

بن غانم الرباش والحاج محمد الروبيو الأراقوني الشاعر والتاجر الثري الذي سخر

قسطا من ماله للكتب. وكانوا جميعا معاصرين للتيلي، متواصلين معه بالتزاور في

تستور وتونس. وقد سبق أن عرفنا بهم وبأعمالهم في مؤلفاتنا المخصصة للموريسكيين

(انظر المراجع).

5- التيلي مكتشف «دون كيخوت» :

المتعارف عليه أنّ قصة «دون كيخوت» للكاتب الإسباني الشهير ثيربانتنس

(Cervantes) (1547/954 - 1616/1588) تعدّ أول أثر أدبي من جنس الرواية في

العالم. وما قبلها كان روايات وقصصا خيالية حول الفروسية، مناسبة لأوروبا الإقطاعية

في القرن السادس عشر وقبله. جاءت قصة «دون كيخوت» مشحونة بالسخرية الذكية

والنقد اللاذع. وكذب مؤلفها المتشبهين بالفرسان المدّعين للشجاعة والبطولة، وتهكّم

على من صدّقوا الزّيف واستهواهم الخيال وخذعتهم سذاجتهم فحولّ بطولاتهم إلى مهازل. سخر ثيرباننس من معاصريه كالملك شارل الخامس والملك فيليب الثاني بقدر ما سخر من المجتمع الإسباني. وصوّر لنا بدقّة الشخصية الإسبانية بقدر ما صوّر لنا بعمق النفس البشرية. وبرع في المزج بين الواقع والخيال براعة تسبّبت في رواج قصّته في مختلف الأوساط. فإذا هو رائد الأدب الهزلي في إسبانيا وأوروبا، ذلك الأدب المبني على المفارقات المضحكة بين المواقف والأحوال والأفعال والأقوال وإن جاء متأخراً بقرون عن مثيله في الأدب العربي ممّا دوّنه الجاحظ في كتاب «الخلاء» والهمذاني في «المقامات».

ومنذ ظهور الجزء الأوّل من قصّة «دون كيخوت» سنة 1605/1067 ظلّ تاريخ الطبعة الأولى منها مجهولاً إلى أن أثبت المستعرب الإسباني الأستاذ خيمي أوليبيّر آسين (Jaime Oliver Asin) مدير الدراسات العربية بجامعة مدريد سنة 1948 أنّ الطبعة الأولى صدرت قبل ذلك التاريخ بسنة، أي سنة 1604/1013. وهذا تحديد تاريخي مهمّ باعتبار قيمة ذلك الأثر في الأدب العالمي. كان اعتماده في ذلك الإثبات على مخطوط «الأنشودة» قبل نشرها محقّقة. وفيها يقول إبراهيم التيلي :

«أتذكّر أنّه في سنة 1604/1013 كنت بمعرض القلعة (Alcala de Henares) [أي قلعة النهر موطن ثيرباننس] أتجوّل في الشارع الكبير صحبة صديق مسيحي ليست له دراية ولا معرفة بتراث السلف حتى وصلنا إلى مكتبة. وبما أنّي أعشق المطالعة طلبت كتباً هامة ومعروفة، واشتريت منها ستّة. وبينما كنت أسأل عن الثمن وأدفع المبلغ شرعت في تبادل الحديث مع الحاضرين وصديقي ومرافقي منشغل بتصفّح الكتب. وفي الأخير سألته عن رأيه في الطريقة التي قضينا بها الوقت فأجاب : لم أفهم شيئاً ممّا قرأت، وكان عليك أن تشتري كتب الفروسية، فردّ طالبٌ كان هناك : ظهر لنا دون كيخوت جديد». انتهى الشاهد.

ويبدو من خلال هذه الحادثة العرضية أن «دون كيخوتًا» قديمًا - إن صحَّ التعبير - كان موجودًا ومعروفًا قبل دون كيخوت الجديد، أي قبل سنة 1605/1014، أي سنة 1604/1013. ولا شكَّ في مصداقية النصِّ لأنَّ التيلي كتب التاريخ بالحروف، لا بالأرقام.

6- التيلي واضع إنجيل برنابا :

برَنَابَا - أي ابن التشجيع - كنية يوسف بن لاوي بن إبراهيم، أحد حواربي المسيح. ولد بقبرص، وتقرَّب إلى تلاميذ المسيح بثمان حقه وبصلاحه واجتهاده في الدعوة بأنطاكية وتشجيعه للرسول بولس وصحبته في القدس (أورشليم) وطرسوس. وباختلافهما اختفى ذكر برنابا من العهد الجديد. واكتفى المؤرِّخون بذكر وفاته سنة 61م بقبرص حيث رجمه الوثنيون ودفنه ابن أخته مرقس الإنجيلي.

ينسب إليه إنجيل ورسالة وكتاب رحلاته لتعليم الرسل. أمَّا الرسالة فقد عثر عليها العالم الألماني تشندروف سنة 1859/1276 ضمن المخطوطة السينائية. وأمَّا الإنجيل - المعروف أيضًا بإنجيل المسيح الأصلي وإنجيل الختان والذي كان مع بطرس - فقد قاومه الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين (Constantinus) ثم ارتضاه إبان إيمانه قبيل وفاته فدام العمل به ثمانين عامًا، بدل العهد الجديد الذي كان مع أتباع بولس.

ثمَّ اختفى ذكر إنجيل برنابا هذا بأوامر من قبل البابا دماسس سنة 366/976 ومجلس الكنائس الغربية سنة 382/992 والبابا أنوسنت سنة 465/1072 والبابا قلاسيوس الأوَّل سنة 492/1098.

بعد قرون عثر الراهب الإيطالي فرا مارينو (Fra Marino) في أواخر ق 16/10 على نسخة بالإيطالية من إنجيل برنابا في مكتبة البابا سكتوس الخامس (Sixte V) في الفاتيكان فانتهمز نعاس البابا للخروج بها، وأسلم وانقطع ذكر هذه النسخة الفريدة آنذاك. ولعلَّها نفس النسخة التي عثر عليها يوهام فريدريك كريمر (Joham Friedrich

(Cramer) أحد مستشاري فريدريك الأول (Frederic 1^{er}) ملك بروسيا (Prusse) من دول الاتحاد السوفياتي سابقا وسفيره المقيم بفيينا، وقدمها سنة 1709/1121 للأمير أوجين دي سافوا (Eugène de Savoie)، فأهداها بدوره لفريدريك الأول في 1125/ 20 / 6 / 1713، ثم نقلت سنة 1738/1151 إلى مكتبة فيينا لتحتفظ بها إلى اليوم تحت رقم 2662. وهي في 225 صفحة. وتضم 222 فصلاً غير تامة إذ تركت بها 38 صفحة بيضاء للإكمال وفراغات قبيل كل فصل. وقد اعتمدها نائب المطران لونسدال راغ (Lonsdale Ragg) لإصدار الترجمة الأنغليزية لإنجيل برنابا سنة 1907. وهي الترجمة التي اعتمدها بدوره الدكتور خليل سعادة لإصدار ترجمة عربية سنة 1908 بتوصية من الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار.

والنسخة الإيطالية - وهي أقدم ما وصلنا من إنجيل برنابا - هي أصل ترجمات باللغات الأوروبية، أقدمها الترجمة الإسبانية التي انتهت إلى المستشرق هوايت. وهو الذي نسب ترجمتها إلى مسلم أندلسي من أراقون مقيم بإسطنبول، ويدعى مصطفى العرندي (Mostafa de Aranda). هذه الترجمة الإسبانية اكتشفت سنة 1970م بمكتبة فيشر (Fisher) بجامعة سيدني (Sydney) الأسترالية في رصيد شارل نيكلسون (Nicholson Charles) من رصيد سابق لجورج سال (George Sale) بعيد وفاة هذا الأخير المعروف بترجمته للقرآن سنة 1734/1147.

هذه الترجمة تنقصها الفصول من 111 إلى 200. وقد كتب عنها فلاتشر (J. E. Fletcher) سنة 1976. ولعل المستعرب الإسباني المغفور له ميكال دي إبلثا (Mikel de Epalza) - مترجم القرآن إلى الكاطالونية - هو الأسبق إلى اكتشاف هذه الترجمة والتعريف بها سنة 1963. وهو الذي أشار على تلميذه وزميله بجامعة أليكانت (Alicante) لويس فرناندو برنابي بونص (Luis Fernando Bernabé Pons) بدراسة الترجمة الإسبانية لإنجيل برنابا ونشرها محققة سنة 1995.

ونعود إلى الترجمة العربية المنقولة عن الترجمة الأنكليزية المنقولة بدورها عن النسخة الإيطالية - كما أسلفنا - لنذكر بأهم ملاحظات مترجمها د. خليل سعادة. فقد حدّد تاريخ نسخ النسخة الإيطالية بسنة 1575/983، ولاحظ هوامشها بالعربية، ورّجح أن يكون مؤلف هذا الإنجيل المنسوب إلى برنابا يهوديًا، وأنه تنصّر ثمّ أسلم. وذلك بدليل معرفته العميقة بالديانات الثلاث وبكتبتها وبعلامات انتمائه إلى بيئة عربية سادت ثقافتها فلسفة أرسطو ورؤية الشاعر الإيطالي دانتي (Dante) للآخرة كما صوّرها في «الكوميديا الإلهية» متأثراً فيها بالتراث الإسلامي. فتلک هي الثقافة والرؤية السائدتان في العصور الوسطى.

اللافت للنظر - إذا - أنّ هذا الإنجيل يوافق القرآن والسنة في عدّة أمور، أهمّها إنكار ألوهية المسيح وأبوّة الله له وإنكار صلبه إذ شبّه لهم بيهودا، وأنّه - أي يسوع أو عيسى - كانت وظيفته كوظيفة يوحنا المعمدان - أي النبي يحيى - الذي تنبأ بقدوم من هو أعظم منه، بالإضافة إلى التنصيص على أنّ إسماعيل هو الذبيح وأنّ الخلاص والوعد به لا بإسحاق، وبالإضافة كذلك إلى التبشير بمحمد خاتم الأنبياء الذين ما أرسلوا إلّا لتمهيد الطريق له. وذلك في عدّة مواضع من إنجيل برنابا. من ذلك :

- قال يسوع : «يا ربّ، إنّ العالم كلّهُ أغواه الشيطان فقال إنّني ابنك وشريكك» (ص 85).

- «ولمّا رفع رأسه قال : ليكن ملعوناً كل من يدرج في أقوالي أنّي ابن الله» (ص 87).

- «فأجاب يسوع : صدّقوني لأنّي أقول لكم الحقّ، إنّ العهد صنع لإسماعيل لا لإسحاق». وحيث قال التلاميذ : يا معلّم هكذا كتب في كتاب موسى أنّ العهد صنع لإسحاق. فأجاب يسوع متأوّهاً : «هذا هو المكتوب. لكنّ موسى لم يكتبه، ولا يسوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله» (ص 68).

- «سأل اليهود يسوع : من الذي سيأتي من سلالة المسيا - أي محمد - الموعود به : إسحاق أم إسماعيل ؟ فردّ يسوع قائلا : إسماعيل . فلما سمع رئيس الكهنة هذا القول حنق وصرخ : لنرجم هذا الفاجر لأنه إسماعيلي» (ص 301).
- قال يسوع لبرنابا : «إنّ قضية صلب المسيح ستبقى في ضلالها إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع» (ص 318).
- قال يسوع : «ولكن الإنسان وقد جاء الأنبياء كلّهم إلّا رسول الله، الذي سيأتي بعدي لأنّ الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه». (الفصل 36).
- أجاب المسيح : «الحق أقول لكم. إنّ كل نبي متى جاء فإنّه إنّما يحمل علامة رحمة الله لأمة واحدة فقط. ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم. فيحمل خلاصا ورحمة للأمم الأرض التي تقبل تعليمه. وسيأتي بقوة على الظالمين». (الفصل 43).
- «لذلك أقول لكم إنّ رسول الله بهاء يسرّ كل ما صنع الله تقريبا، لأنّه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال، مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ! صدّقوني إتي رأيتيه وقدّمت له الاحترام كما رآه كل نبي. لأنّ الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيتيه امتلأت عزاء قائلا : {يا محمد ليكن الله وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك}. لأنني إذا قلت هذا صرت نبيا عظيما وقدّوس الله. ثمّ قال يسوع: إته سرّ الله». (الفصل 44).
- «فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها { لا إله إلّا الله محمد رسول الله}. ففتح آدم حيثذ فاه وقال : أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضّلت فخلقتني. ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات {محمد رسول الله} ؟ فأجاب الله : مرحبا بك يا عبدي يا آدم. وإنّي أقول لك إنّك أول إنسان خلقت.

وهذا الذي رأيته هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة. وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نورا للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا. فتضرع آدم إلى الله قائلا : يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي. فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه. على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصّه { لا إله إلا الله } وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصّه { محمد رسول الله }. فقبل الإنسان الأول بحنان أبوي هذه الكلمات ومسح عينيه وقال : بورك اليوم الذي سوف تأتي فيه للعالم». (الفصل 39).

- «حينئذ قال الله : انصرف أيها اللعين من حضرتي. فانصرف الشيطان. ثم قال الله لآدم وحواء اللذين كانا ينتحبان : اخرجوا من الجنة واجهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما لأنني سوف أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لدرّيتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري لأنني سأعطي رسولي كلّ شيء. فاحتجب الله. وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس. فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب { لا إله إلا الله محمد رسول الله }. فبكى عند ذلك وقال : أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعا وتخلصنا من هذا الشقاء». (الفصل 41).

لهذه الإشارات والتصريحات اختلف المسلمون في قبول إنجيل برنابا إذ لا ذكر له في كتبهم، في حين أجمع المسيحيون على إنكاره لمخالفته أناجيلهم المتوافقون عليها ولتخوّفهم من أن يعتنق بعضهم الإسلام، وهو ما حصل فعلا. لم يذكره الطبري في تاريخه (ج1، ص 103) ولا المسعودي في «مروج الذهب» (ط. 1866، ج 1، ص 139، 312) ولا الشهرستاني في «الملل والنحل» (ج1، ص 100)، واكتفوا بذكر الأناجيل الأربعة المعروفة بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وانتقده محمد شفيق غربال في «الموسوعة العربية الميسرة» وعباس محمود العقاد في جريدة «الأخبار» المصرية ليوم 26 / 10 / 1959 وعلي عبد الواحد وافي في كتابه «الأسفار الثلاثية في الأديان السابقة للإسلام» ومحمود بن الشريف، وغيرهم، وكذلك «دائرة معارف الناشئين». وعلى

ذلك النحو كان موقف المسيحيين إزاء كل ما يكتشف من الأنجيل التي لا توافق أهواء الكنيسة والتي يتهمون متحليها بالهرطقة والتوسطية والتزوير. من ذلك «وثائق نجع حمّادي» المكتشفة سنة 1945، وهي عبارة عن 52 نصًا مقدّسا مكتوبا على 13 ورقة بردّي. وكذلك «إنجيل يهوذا الإسخريوطي» المكتشف سنة 1970 بصعيد مصر مكتوبا بالقبطية على 13 بردية. وقد ترجمه إلى الأنجليزية العالم الأمريكي رودولف كسير، ونشره في مجلة «ناشيونال جيوغرافيك» (National Geographic) الأمريكية في عدد ماي 2006 مثيرا قلقا مسيحيا لا يقل خطرا عن زلزال «شفرة دافنشي». وكانوا جميعا متغافلين عن الحقيقة القرآنية في الآيات التالية الموافقة لما ورد في إنجيل برنابا. قال تعالى :

- «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق. إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة. انتهوا خيرا لكم. إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد. له ما في السماوات وما في الأرض. وكفى بالله وكيلًا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون». (النساء : 171 - 172).

- «إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين». (آل عمران : 45).

- «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنّني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين». (الصف : 6).

- «وقولهم إنّنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه، ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظنّ، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما». (النساء : 157 - 158).

والذي يعنينا من كلّ هذا علاقة إبراهيم التيلي بإنجيل برنابا. هذه العلاقة عبر الترجمة الإسبانية رَجَّحها ميكال دي إبلثا ولويس فرناندو برنابي بونص، بل وذهب بهما الاعتقاد إلى أنّ التيلي قد كتب هذا الإنجيل ونسبه إلى برنابا وهو مقيم بتستور في الطور الثاني من حياته، الطور الذي أعلن فيه جهراً إسلامه وتخلّى عن اسمه الإسباني خوان بيريث (Perez Juan). وذلك طوال النصف الأوّل من ق 17/11، منذ وصوله إلى بلادنا مع مهاجري سنة 1609/1018. فهذا الإنجيل بموافقته للقرآن ومخالفته للأناجيل الرسميّة خير داعم لموقف التيلي في مجادلته للمسيحيين وسلاح آخر مع تلك القصيدة الطويلة الممّجدة للإسلام والمتقدّة للمسيحيّة المحرّفة - كما بيّنّا في أوّل الكلام - ومع مؤلّفات أخرى في نفس النسق ولنفس الغرض.

المصادر والمراجع

- 1- ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة في أخبار غرناطة. - القاهرة، ط 1 1974/، ط 2 1977/، ج 1، ص 133، 263 (تيل بني أوس وتيل بني هود).
- 2- بارالت (لوثي لوباث) : نص حول الجنس لموريسكي من تونس. - تعريب جمال عبد الرحمان، مؤسسة التميمي (زغوان) تونس 1995. وهو قسم من المخطوط المجهول س 2 (S₂) من مجموعة بسكوال قيانقوس بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد الذي رَجَّحنا نسبته إلى التيلي قبل صدوره كاملاً بعنوان «رسالة الطريقين».
- 3- الحمروني (أحمد) : تستور / وثائق ودراسات. - ميدياكوم، تونس 1999، ص 188 (مختصر ترجمة التيلي).
- 4- الحمروني (أ.) : دراسات وقراءات أندلسية موريسكية. - ميدياكوم، تونس 2010، ص 28 - 29 (تيل بني أوس وتيل بني هود).
- 5- الحمروني (أ.) : الموريسكيون الأندلسيون في تونس / دراسة وببليوغرافيا. - ميدياكوم، تونس 1998، ص 114، التعليق رقم 3 حيث رجحنا نسبة المخطوط المجهول

س 2 (S₂) من مجموعة بسكوال قيانقوس بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد إلى التيلي قبل صدوره بعنوان «رسالة الطريقين».

6- الحمروني (أ.): الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية. - ميدياكوم، تونس 2009، ص 100 (مختصر ترجمة التيلي).

7- الففصي (عبد الحكيم سلامة) : إبراهيم التيلي التونسي مكتشف الطبعة الأولى من قصة دون كيخوت. - في : جماعي : تونس / أعلام ومعالم، وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية، تونس 1997، ص 127 - 131.

8- المقرري (شهاب الدين أحمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وشاعرها ابن الخطيب. - تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ط1/ 1968، ط2/ 1988، ج1، ص 280 (تيل بني أوس وتيل بني هود).

9- ANONYME : Tratado de los dos caminos por un morisco refugiado en Tunez.- éd. Alvaro Galmes de Fuentes, Juan Carlos Villaverde Amieva, Luce López - Baralt, Madrid, 2005.

نشرنا عرضاً لهذه الرسالة في : مجلة «دراسات أندلسية»، ع 37، جانفي / جوان 2007، ص 111 - 114، وفي كتابنا : الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية. - ميدياكوم، تونس 2009، ص 131 - 133. وفيه رجّحنا نسبتها إلى التيلي.

10- BERNABĚ PONS (Luis Fernando) : El Cantico islamico del morisco hispano tunecino Taybili.- Institucion Fernando El Catolico, Zaragoza, 1988.

11- BERNABĚ PONS (L. F.) : El Evangelio de San Barnabé/ Un evangelio islamico español.- Université de Alicante, 1995 (260 p.).

12- BERNABĚ PONS (L. F.) : El manuscrito español del "Evangelio de Bernabé" (Evangelio Hispano-Islámico de autor morisco, siglos XVI - XVII).- Universidad de Alicante, 1992 (Thèse de doctorat).

13- BERNABE PONS (L.F.), L'écrivain morisque hispano-tunisien

- Ibrahim Taybili / Introduction à une littérature morisque en Tunisie. - in : Collectif : Mélanges d'archéologie, d'épigraphie et d'histoire offerts à S.M. Zbiss, I.N.P., Tunis, 2001, p. 249-272.
- 14- DE EPALZA (Mikel) : El escritor Ybrahim Taybili y los escritores musulmanes aragoneses / Introduction.- in : BERNABE PONS (Luis Fernando) : El Cantico islamico del morisco hispano tunecino Taybili, Institucion Fernando El Catolico, Zaragoza, 1988, P. 5 – 26.
- تعريب جزئي نشرناه في : مجلة «دراسات أندلسية»، ع 34، جويلية / ديسمبر 2005، ص 87 – 106، وفي كتابنا : الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية.-
ميدياكوم، تونس 2009، ص 115 – 130.
- 15- DE EPALZA (M.) : Etudes islamiques actuelles sur l'Evangile islamisant de Bernabé.- in : Al-Masaq, 1988, vol. I, P. 33 – 38.
- 16- DE EPALZA (M.) : Le milieu hispano-moresque de l'Evangile islamisant de Bernabé (XVIe – XVIIe siècles). – in : Islamo-christiana (Rome), VIII, 1982, P. 159 – 176.
- 17- DE EPALZA (M.) : Rites musulmans opposés aux rites chrétiens dans deux textes de Morisques tunisiens : Ibrahim Taybili et Ahmad Al-Hanafi.- in : Actes du IIIe symposium international d'études morisques sur « Las prácticas musulmanes de los moriscos andaluces », Fondation Temimi, Zaghouan 1989, P. 71 – 74.
- عَرَّبَهُ عبد الجليل التيمي في الطبعة العربية : تطبيق الموريسكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية.- متبعم، زغوان 1991، ص 37 – 67، وأعاد نشره في كتابه : تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها.- مؤسسة التيمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 1102، ص 911 – 421.
- 18- DE EPALZA (M.) : Sobre un posible autor español del Evangelio de Bernabé.- in : Al-Andalus (Madrid) XXVIII, 1963, P. 479 – 491.
- 19- FLETCHER (J. E.) : The Spanish Gospel of Barnabas / Novum Testamentum, vol. XVII (1976), P. 314 – 320.

- 20- JOMIER (Jacques): L'Evangile selon Barnabé.- in : MEDEO, 6, 1960, P. 137 – 226.
- 21- LÓPEZ-FEBRES (Luis Abner) : Problemas de identidad en el tratado de los dos caminos (Ca. 1630 - 1650) : Una lectura postcolonial a un manuscrito morisco escrito durante el exilio en Túnez.- in : Mélanges offerts au prof. Mikel De Epalza, Fondation Temimi, Tunis, 2011, p. 295 - 306.
- 22- OLIVERASIN (Jaime) : Le « Quichotte » de 1604.- Trad. de l'extrait du livre : El « Quijote » de 1604, Madrid 1948, P. 33 – 44, Bulletin de la Real Academia Española, XXVIII, 1948, P. 89 – 126. Trad. S. Canone. – in : De EPALZA (M.) et PETIT (R.) : Recueil d'études sur les Moriscos Andalous en Tunisie (= Etudes... Moriscos), Madrid, 1973, P. 742 – 042
- (حول اكتشاف التيلي للطبعة الأولى من قصة دون كيشوت)
- 23- OLIVER ASIN (J.) : Un morisco de Tunis, admirateur de Lope / Etude du manuscrit S2 de la collection Gayangos.- Trad. de l'article publié en espagnol dans « Al-Andalus », Madrid, 1, 1933, P. 409 – 450. Trad. S. Canone.- in : Etudes... Moriscos, P. 205 – 239.
- (Lope de Vega) حول إعجاب التيلي بمسرحيات لوبي دي بيقا
- 24- RAGG (Lonsdale), RAGG (Laure) : The Gospel of Barnabas / Edited and translated from the italian (Manuscript in the Imperial Library at Viena). – Clarendon Press, Oxford 1907.

مواقع على الأنترنت :

- إنجيل برنابا - ويكيبيديا. الموسوعة الحرة.

- Wikipedia.org/wiki/Evangile de Barnabé

- كشف الزيف ومعايير رفض إنجيل برنابا وتطبيقها على الأناجيل
http://www.burhanukum.com/article372.html

- مقال حول إنجيل برنابا من وجهة نظر الكنيسة القبطية

http://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/01-Questions-Related-to-The-Holy-Bible__Al-Ketab-Al-Mokaddas/005-Barnabas-fake-bible.html

- حقائق إنجيلية

http://nabilalkarkhy.net/new_page_03.html

- إنجيل برنابا - الترجمة العربية الدكتور خليل سعادة

[http://www.ebnmaryam.com/vb/attachment.php?](http://www.ebnmaryam.com/vb/attachment.php?attachmentid=2902&stc=1&d=1161055901)

[attachmentid=2902&stc=1&d=1161055901](http://www.ebnmaryam.com/vb/attachment.php?attachmentid=2902&stc=1&d=1161055901)

- دراسة في الكتاب المدعو «إنجيل برنابا» : الجزء الأول [1]

<http://www.islamexplained.com/>

[DaringQuestionEpisode119/tabid/1386/Default.aspx](http://www.islamexplained.com/DaringQuestionEpisode119/tabid/1386/Default.aspx)

- دراسة في الكتاب المدعو «إنجيل برنابا» : الجزء الثاني [2]

<http://www.islamexplained.com/>

[DaringQuestionEpisode120/tabid/1388/Default.aspx](http://www.islamexplained.com/DaringQuestionEpisode120/tabid/1388/Default.aspx)

- حراس العقيدة [3]

<http://sms4file.com/downloadvip/>

[1687.1d0f09f3f2ede5b8alc722737c/i_Go_full_pack.rar.html](http://sms4file.com/downloadvip/1687.1d0f09f3f2ede5b8alc722737c/i_Go_full_pack.rar.html)

Résumé :

Ibrahim Taybili (=Juan Perez) né en 1580, a passé la première moitié de sa vie à Tolède en Espagne. Après l'apprentissage des langues espagnole, latine et arabe, il s'est consacré à l'étude des religions et de la philosophie grecque, tout en exprimant un amour fervent au théâtre lyrique de son temps.

Il a passé la deuxième moitié de sa vie en Tunisie, à Testour, où il s'est installé, à l'instar des morisques émigrés en 1609. Il s'est consacré à la traduction de l'arabe au castillan des ouvrages théologiques, en prose et en poésie. Il a également enseigné à ses confrères les principes

de l'Islam, tout en participant à la polémique anti-chrétienne.

Il composa un très long poème qui compte 4608 vers en espagnol, pour faire l'éloge de l'Islam et dévoiler les contradictions du Christianisme. Ce poème a été l'objet d'une édition critique publiée par Luis Fernando Bernabé Pons à Saragosse en 1988 et intitulée « El cantico islamico ».

Nous croyons qu'il fût l'auteur du « Tratado de los dos caminos », un traité publié par les soins de Juan Carlos Villaverde Amieva à Madrid en 2005. Le titre indique le chemin du paradis et celui de l'enfer. Le but était de montrer aux morisques comment ils doivent tirer avantage de la vie tout en restant fidèles, dans le cadre d'une vie conjugale épanouie, différente de celle de ses co-religionnaires.

Dans le même but, il attire l'attention sur la spécificité des croyances chrétiennes et invite à les éviter. Ces écrits sont souvent rédigés conjointement avec d'autres savants comme Ahmed Ibn Mohammad Ibn Abdelaziz Ach-Charif Al-Qurachi Al-Hanafi. Son œuvre la plus connue est le manuscrit « Unicum... » gardé au Vatican sous le numéro 14009.

Le « Chant islamique » de Taybili a permis la découverte de la première édition de « Don Quichotte » de Cervantès en 1604. Ceci a été révélé par l'orientaliste espagnol Jaime Oliver Asin, à Madrid en 1948.

Taybili a choqué le monde chrétien par l'élaboration de l'Evangile de Bernabé, l'un des disciples du Christ, malgré l'opposition de l'Eglise, en considération de son contenu exclusivement coranique et qui rejette la divinité de Jésus. Des traductions espagnole, allemande, anglaise et arabe ont été publiées dès la découverte du manuscrit italien en 1575.

Les œuvres variées et complémentaires d'Ibrahim Taybili révèlent son aversion de l'extrémisme chrétien qui est à l'origine de la tragédie de l'exode de ses compatriotes chassés d'Espagne à cause de leurs croyances. Sa culture religieuse et littéraire nous révèle un représentant typique du savant morisque mettant son savoir au service de sa cause, sans répit.

Traduit par Lotfi Essid

RESUMEN

Ibrahim nacido en Toledo en 1580 pasó la primera parte de su vida en el estudio del español, el latín, el árabe, en las religiones y en la filosofía griega mostrando su pasión por el teatro lírico de aquella época. Pasó la segunda parte de su vida en Testur donde se instaló con los moriscos emigrados en 1609 y se dedicó a la traducción de obras teológicas en prosa y en poesía del árabe al español. Enseñó a los fieles los principios del Islam y participó en la polémica anti –cristiana. Compuso el poema más largo en la literatura universal compuesta por 4608 versos en español que critica el cristianismo y alaba el Islam. Lo realizó y lo editó Luis Fernando Bernabé Pons (لويس فرناندو برنابي بونس) en Zaragoza en 1988 bajo el título « El Cántico Islámico (الأنشودة الإسلامية) ».

Creíamos que era él autor de « Tratado de los dos caminos » (رسالة خوان), editado y realizado por Juan Carlos Villaverde Amieva (كارلوس فيا فردي أمييفا) en Madrid en 2005. El objetivo de la obra era que los moriscos logren tanto su religión como su vida en el marco de una vida conyugal diferente de la del celibato de los sacerdotes. Y con el mismo objetivo pero de una manera opuesta los advirtió de las creencias que se contradijesen con el Islam y los incitó no seguirlos. Colaboró en estas obras Ahmad Ibnu Muhamad Acharif Alkurachi Alhanafi y otros. Citamos el manuscrito (Unicum...) registrado en el Vaticano bajo el número 14009.

A At-Taybali y « El Cántico » citado por debajo y aunque fuese de una manera espontánea se reconoció el favor de conocer la fecha de la primera edición de la novela « Don Quijote De La Mancha » de Miguel De Cervantes en 1604 en vez de 1605 fecha de la segunda edición. Eso fue revelado por el orientalista Jaime Oliver Asin en Madrid en 1948. Y se consideró tal obra como es sabido la primera novela universal de género relato.

Attaybali chocó el mundo cristiano al elaborar el evangélico y lo atribuyó a uno de los discípulos de Cristo. Y a pesar de la oposición de la Iglesia por su contenido que niega la divinidad de Cristo y su crucifixión y albriciar el profeta Muhamad se publicaron traducciones españolas, alemanes, ingleses, y árabes desde el descubrimiento del manuscrito italiano en 1575.

Con estas obras completas se armó Ibrahim At-Taybali para vengarse intelectualmente y espiritualmente de los cristianos fanáticos que fueron la causa de su trágica expulsión junto con su hermano de su tierra por razones religiosas, por su cultura religiosa y literaria. Consideramos Ibrahim At-Taybali el mejor ejemplo morisco que defendió su causa sin parar.

Traducido por Sana Greche